**نكــــبــــة دمــــــشــــق**

**"أحمد شوقي"**

**سـلامُ مـن صـبـا بَـردَى أرقُّ ودمعُّ لا يُكـــفكَف يـا دمشــق**

**ومعـذِرة اليراعـة والـقـوافي جلال الرُّزءِ عن وصف يـدقّ**

**وذكرى عـن خَواطرهـا لقلبـي إليـــك تـلفـّت أبـدا وخفــــــق**

**وبي ممّـا رمـتـــك بـه الليـالي جـراحاتُ لها في القلب عُمـق**

**دخلتـكِ والأصـيـل لـه ائـتـلاق ووجهكِ ضاحكُ القسماتِ طلق**

**وتحت جِنانـك الأنهـارُ تـجـري ومـلءُ ربـــــاك أوراقُ وورق**

**وحــــــولي فتيـة غـرّ صِـبـاح لهُم في الفضلِ غايات وسبق**

**علـى لـهـواتهم شـعراء لسـن وفي أعطافِـــهم خطباء شـدق**

**رواةُ قصـاندي، فاعجـب لشـعر بكـلّ محـلـة يرويـــــــه خَـلـق**

**غمزت إبــــــاءهم حتـى تلظـّت أنوف الأُسد واضـطرم المَـدَق**

**وضجّ من الشكـــــــيمة كلّ حر أبيّ مـن أميــــــــة فيـه عتـق**

**لحاهـا الله أنــــــــــباء توالـت على سمع الولي بمــــا يشـق**

**يفصّــــــلهـا إلـى الـدنــيا بريـد ويجملها إلى الأفــــــاق بـرق**

**تكاد لروعـة الأحــــداث فيهـا تخال من الخرافة وهي صدق**

**وقـيــل : معـــــالم التاريخ ُكـت وقيل : أصابــــها تلف وحـرق**

**ألست دمشــق للإسـلام ظئــرا؟ ومرضعة الأبــــــــــوة لا تعـق**

**صلاح الديــن: تاجـك لـم يجمـل ولم يوســــــم بازين منـه فـرق**

**وكل حضارة فـي الأرض طالـت لها من سرحــــك العلوي عـرق**

**سماؤك من حُلـى الماضـي كتـاب وأرضك من حلى التاريخ رق**

**بنيت الدولـــــــة الكبـرى وملكا غبـار حضـــــــارتيه لا يشـق**

**لـه بالشـام أعــــــــلام وعـرس بشــ ــــاره بـأنــــدلـس تدـق**

**رباع الخلـــد- ويحك- ما دهاه؟ أحق أنــــها درسـت ؟ أحـق؟**

**وهل غرف الجـــنان منضـدات؟ وهل لنعيمـهنّ كأمس نسـق؟**

**و أین دمى المقاصر من حجـال مهتكـة وأسـتــــــار تـشـق؟**

**برزن وفي نواحــي الأيـــك نـار وخــــلف الأيـك أفـراخ تـزق**

**إذا رُمن السلامة مـــن طريـق أنت من دونه للمــوت طـرق**

**بليــل للقـذائــــــــف والمنايـا وراء سمائه خطــف وصـعق**

**إذا عصف الحديد: احمـر أفـق على جنـــــــباتـه واسـود أفـق**

**سلي من راع غيدك بعد وهـن أبيـــن فؤاده والصـخـر فـرق؟**

**وللمســـــتعمـــرين وإن ألانوا قلــــــوب كالحـــجـارة لا تـرق**

**رماك بطيشه، ورمـى فرنســا أخـــــو حرب به صلف وحمـق**

**إذا مــــــا جـاءه طلـــاب حـق يقول عصــــابة خرجوا وشقوا**

**دم الثــــــــوار تعرفـه فـرنسـا وتعلـــــــم أنــــــــه نـور وحـق**

**جرى في أرضــــه، فيـه حيـ كمــــــــنهل الـــماء وفيـه رزق**

**بـلاد مــــــــات فتيتهـا لتحيـا وزالـــــــوا دون قـومهم ليبقـوا**

**وحررت الشعوب علـى قناهـا فكيف على قناهـا تســـــــترق؟**

**بني سوريّة اطّرحـوا الأمـاني وألقوا عنكــــــم الأحـلام ألقـوا**

**فمن خدع السياسة أن تغـروا بألقـاب الإمـــــــارة وهـي رق**

**وكم صيد بدا لـك مـن ذليـل كما مالت من المصـــلوب عنق**

**فتوق الملك تحدث ثم تمضي ولا يمضــي لمختلفين فتـق**

**نصحت ونحن مختلفـون دارا ولكــن كلنا في الهـم شـرق**

**ويجمعنـا إذا اخــــتلفـت بـلا بيـــان غيـر مختلـف ونطـق**

**وقفتم بـيـن مـوت أو حيـاة فإن رمتم نعيم الدهر فاشـقوا**

**وللأوطـــــــــان فـي دم كـل يد سـلفــت وديـــن مسـتحق**

**ومن يسقى ويشـرب بالمنايـا إذا الأحرار لم يسقوا ويسقوا؟**

**ولا يبني الممالـك كالضـحايا ولا يدني الحقــــوق ولا يحـق**

**فـفـي القتلـى لأجيـال حــيـاة وفي الأسرى فدى لهم وعتق**

**وللحــــــــريـة الحمــراء بـاب بكـلّ يـد مـضــــــرّجـة يـــدق**

**جزاكم ذو الجلال بني دمشـق وعـــــز الشرق أولـه دمشـق**

**نصرتم يـوم محنـــــتـه أخـاكم وكل أخ بنــــصـر أخيـه حـق**

**وما كان الــــــدروز قبيــــل شر وإن أخــــذوا بما لم يستحقوا**

**ولكـــن ذادة وقـــــــراة ضيف كينبوع الصـفا خشنوا ورقـوا**

**لهم جبـل أشـم لـــــــه شـعاف موارد في السحاب الجون بلق**

**لـكـل لبــــــــوءة ولكـل شـبل نضال دون غايـــتـه ورشــــق**

**كان من الســــموأل فيـه شـيئا فكــل جهاتـــــه شـرف وخلـق**

**تحليل القصيدة :**

تدور الفكرة المحورية لقصيدة "**نكبة دمشق**" حول حزن الشاعر على المدينة العربية ذات الحضارة العريقة، والتراث التليد، وما حلّ بها من دمار وقتل وتخريب على يد المستعمر الفرنسي الغاشم، ويدعو شوقي في قصيدته الشعب السوري إلى الصمود والتضحية بالغالي والنفيس دفاعاً عن حرية الوطن، ثم ركز على فكرة أن الثورات هي الخلاص من الذل والاستعباد.

لقد ظهرت عاطفة **شوقي** القومية متضمنة مشاعر الحزن والأسى لما أصاب هذا البلد العربي الشقيق . فقد "كان شوقي يبغض الاحتلال، ويحقر من يمتدحه أو يرضاه وإن كان من العلية والسراة " فاستهل قصيدته بتحية دمشق ولكن تحية تملؤها الدموع، فوجّه التحية واصفاً إياها بأنها أرق من نسائم نهرها الزاخر، وهذه الدموع لا تجف حزناً على ما أصابها. لقد عجز الشعراء والكتاب عن وصف ما لحقها من عظم الرزء وزاد من وقع الألم، مالها في القلوب من حب، وما في الخاطر من ذكريات.

نرى "**شوقي**" يستعيد ذكرياته عن هذه المدينة العريقة، حيث إنه زارها قبل مصابها ووصفها بتألقها وبهائها، وأنهارها، وأشجارها السامقة، وحفاوة استقبال أهلها حتى إنه وجد من بلغاء دمشق وفصحائها من يردد شعره. لقد حرك شعر شوقي الوطني مشاعر أهل دمشق؛ فدفعهم إلى الجهاد ومقاومة المستعمر، وتحرير الأوطان. وأهل دمشق - أصلا – يتمتعون بصفات الشهامة والمروءة؛ فهم من نسل بني أمية.

تُعدّ دمشق مدنية تاريخة عريقة امتدت يد العدوان على آثارها فثمرتها، ونسى الناس أن هذه المدينة في يوم من الأيام، كانت بمثابة الأم لبلاد الإسلام؛ حيث كانت مركزا للخلافة. لذا وجب على الأبناء - الآن- الزود عنها وحمايتها . لقد اشتهرت هذه المدينة بأبطالها الذين خلدهم التاريخ أمثال : **صلاح الدين الأيوبي** الذي حرّر الشام من الصليبيين، وكانت بطولاته تاجاً تزهو به على مر التاريخ، ثم يستطرد "شوقى" في وصف هذه المدينة العريقة ... إن ما أصاب دمشق من دمار وخراب لحدث جلل يكاد لا يصدقه عقل، ثم يصف الفزع والهلع الذي أصاب النساء وهروبهن من الموت الذي أحاط بهن من كل جانب، وخروجهن هائمات على وجوههن في ظلام الليل تحت قصف المدافع، ودوي الرصاص، ونيران الحرائق التي أتت على الأخضر واليابس.

نرى شوقي يلقي باللائمة على هؤلاء المستعمرين مندداً بهم؛ لأنهم يقولون ما لا يفعلون، فهم الذين ينادون بالحرية والمساواة، ولكنهم لا يطبقون ذلك في بلاد العرب ! وينادي "شوقي" على دمشق قائلا لها : **إسألي من روع نساءك في ظلام الليل** ؟ **هل هناك فرق بين الصخر وقلبه ؟** ولكن لا عجب، فهذا دأب المستعمر، فهو يمتلك قلباً قاسياً، بل أشد قسوة من الحجارةثم يلقي شوقي باللائمة على القائد الفرنسي الأحمق الذي ضرب دمشق بكل قسوة وأضاع سمعة بلاده في العالم، وزاد الطين بلة، أنه أتهم الثوار - الذين يطلبون حق بلادهم – أنهم عصابة خرجوا على النظام العام ! ثم يمضى شوقي – بأدلته - عارضاً موقف فرنسا وتناقضها، فهي الدولة التي تعرف معنى الثورة، وتدرك قيمة الحرية وأهميتها، حيث دعت في ثورتها إلى مبادئ (العدل والحرية والمساواة) وما نالوا ذلك إلا بدماء الثوار الأحرار. ولذا نجد الشاعر - دائماً – يستنكر استهانة فرنسا بالحرية، وتنكرها للقيم الإنسانية في بلاد الشرق ! واتجه "شوقى" – بشعره الحماسي - لدفع السوريين للثورة على الاستعمار، ونصحهم بالحذر من خدع المستعمر الذي يحاول أن يصرفهم - بأوهامه وحيله – عن قضية بلادهم، ويبذل ما في وسعه لإحداث الفرقة بينهم. ويمضي مدللاً ومبرهنا على صحة كلامه، حيث يحسب بعض الناس ميل العنق كبراً وفخراً ! ولكن ليس كل من مال عنقه متكبراً. ألا ترى المصلوب تميل عنقه بعد وفاته ؟

ينصح "شوقى" الشعب السوري بضرورة الاتحاد ونبذ الفرقة؛ لأنها شر الأدواء. ونصب نفسه ناصحاً من باب الأخوة التي تجمع أبناء الشرق، ووحدة اللغة والدين، والثقافة .. ويستمر شوقي في إسداء النصح لهم؛ حيث إنهم بين الحياة والموت، فإما أن يعيشوا حياةً حرة، وإما أن يرضوا بالذل والهوان. ويجب عليهم أن يدفعوا ثمن الحرية التي لا تشرى بالمال، ولكن بدماء الأحرار ثم يمضى مؤكداً على الفكرة نفسها حيث يقول : إن باب الحرية لا يفتح إلا بطول النضال والكفاح، فلا تمل في طلبهافهي حتماً ستنال. وهذا كان دأب شوقي -دائما. في استنهاض الهمم بشعره الوطني المفعم بالحماسة "فلابد أن يكون الشاعر الوطني ثائر النفس، فائر العاطفة يعبر عن ثورته بشعر متدفق ،ينزل في قلوب مواطنيه نارا تصهر القوى ،وتستثير العزائم ، ويرفع لهم منارا من مثلهم الأعلى في الحرية، ويدفعهم دفعا إلى جهاد عدوهم، والصبر على ما يلون في جهادهم من تضحية وردي " ثم اختتم شوقي القصيدة بإطراء هذه المدينة التليدة، وبنيها البواسل، حيث يرى أن عز الشرق أوله دمشق، فأهل دمشق هم الذين هبوا لنصرة إخوانهم من الدروز، وهذا حق وواجب. فالدروز هم حماة الديار، ولم يكونوا في يوم من الأيام مع المستعمر ضد إخوانهم، وهم على شجاعتهم أهل كرم ومروءة، يزودون عن حماهم، متحصنين بجبلهم الصامد على مر الزمن ثم يختتم قصيدته بتنوع أساليب الدفاع والزود عن الحمى، مدللاً بالشبل وأمه في الدفاع عن العرين.

**أولا : قراءة اللفظ الشعري :**

تُعدّ اللفظة عند الشاعر أداة للتعبير عن فنّه وموهبته، وهي لا تقف في الفن الشعري عند حدود دلالتها الوضعية، بل إنها تحمل دفقات من العواطف والمشاعر، إلى جانب دلالتها المعجمية والشاعر يستطيع بما يمتلكه من موهبة الشعر، أن يحلّق باللغة إلى آفاق بعيدة ودلالات متعددة، يختلف الناس حولها، ومن هنا يأتي جمال الفن الشعري الذي لا يزال معناه ودلالته موصولة بسياقها، وبعد مطالعتنا لديوان شوقي لا نشك في أنه قرأ ووعي مفردات المعجم اللغوي؛ حيث ظهرت براعته اللغوية، وتمكنه من استخدام الألفاظ، ووضعها في سياقها الفني "فالألفاظ في القصيدة جزئيات حيوية لبناء عضوي كامل، بحيث إننا لو أبدلنا لفظأ مكان آخر لا يتغير المعنى الموضوع له هذا اللفظ فحسب، بل يتغير أو يفسد البناء العضوي الذي كانت تلك اللفظة تشكّل جزءاً منه".

وقد استخدم "**شوقي**" ألفاظاً تدل على الحزن، والألم، والأسى، وأثر الدمار والهلاك الذي لحق بدمشق. مثل قوله : (**ودمع لا يكفكف - جلال الرزء - جراحات لها في القلب عمق - لحاها الله أنباء - معالم التاريخ دكت - أصابها تلف وحرق - وفي نواحي الأيك ناز - أنت من دونه للموت طرق - للقذائف والمنايا - خطف وصعق - احمر أفق - واسود أفق - قلوب كالحجارة - دم الثوار - في الهم شرق - بين موت أو حياة - يسقى ويشرب بالمنايا - كالضحايا - ففي القتلى لأجيال حياة - وللحرية الحمراء - يد مضرجة**). وقد أجاد شوقي استخدام هذه الألفاظ، في سياقاتها المختلفة وعبّر من خلالها عن هول المصيبة وآثار النكبة، ومن أمثلة إجادته اختيار الفاظ معجمه في معرض حديثه عن الذكريات وإثارة المشاعر والعواطف يقول محدثاً دمشق التليدة : **ألسـت دمشق للإسلام ظئرا ومرضعة الأبوة لا تعق ؟** **صلاح الديـــــــن تاجك لم يجمل ولم يوسم بأزين منه فرق وكل حضارة في الأرض طالث لها من سرحك العلوي عرق سماؤك من خلى الماضي كتاب وأرضك من خلى التاريخ رق بنيت الدولة الكبــرى وملكا غبار حضارتيه لا يشق له بالشام أعلام وغــــرس بشائره باندلس تدق.**

لقد استخدم "**شوقي**" هنا هذه الالفاظ الموحية مثل استخدامه لفظة (ظئرا) التي توحى ، فهي الأم بالنسبة للإسلام ثم استدعى الشاعر الشخصية التراثية "صلاح الدين" حيث إن الظرف الحالي يتطلب مثل هذه الشخصية التراثية، التي دحضت قوى البغي الصليبي وأزاحتهم عن بلاد الإسلام. ومن الكلمات الموحية في موضعها، كلمة (أنباء) بدلاً من (أخبار)؛ لأن (النبأ) لا يكون إلا للإخبار بما لا يعلمه المخبر، أما (الخبر) فيجوز أن يكون على علم به، أو لا يكون. وفي (النبأ) معنى عظيم؛ أي يكون في الأمر الجلل.

ومن الألفاظ ذات الدلالة الموحية في البيت نفسه لفظة (**الولي**) بديلا عن (**النصير**) فالولي تتضمن المودة والنصرة معاً، أما "النصير" فلا تشترط المودة. وأيضاً استخدامه (القتلى) بديلاً عن الموتى؛ لأن الموت فعل رباني، أما القتل ففعل آدمی، ولكنه هنا لغاية شريفة، دفاعاً عن الأرض والعرض .. يقول **شوقي ففي القتلى لأجيال حياة** **\*\*\* وفي الأسرى فدى لهمو وعتق**، وذكر أيضا لفظة (دين) وهي توحي بعظم العطاء والتضحية دفاعاً عن الأوطان، وأكد ذلك بتوصيفها بـ (مستحق) التي تفيد الإلزام ووجوب الأداء. **وللأوطان في دم كل خر \*\*\* يد سلفت ودين مستحق،** ومنها أيضاً كلمة (مضرجة) التي توحي بتكريم هذه اليد المخضبة بالدماء وكذا لفظة (يدق) التي توحي بالاستجابة، وكلمة الحمراء التي تدل على عظم التضحيات توظيف اللون الأحمر (لون الدماء) . **وللحرية الحمراء باب \*\*\* بكل يد مضرجة يدق** ومن الألفاظ التي تدل على أن الحرية حق مشروع للشعوب كلمة (الحقوق) في قوله : **ولا يبني الممالك كالضحايا \*\*\* ولا يدني الحقوق ولا يحق** وقد استخدم "شوقي" (وإن ألانوا) ولم يقل (ولم يلينوا) لأن أثر الماضي هنا يدل على رضوخ المستعمر، واستبداله للمندوب السامي : **وللمستعمرين وإن ألانوا \*\*\* قلوب كالحجارة لا ترق**، كذلك استخدم الفعل الماضي إذا رمن) بديلا عن المضارع ، وهذا الاستخدام الزمني يدل على ثقته بوعي الثوار وتجاوزهم خلافاتهم السياسية، يقول **إذا زمن السلامة من طريق \*\*\* أنت من دونه للموت طرق،** وقد استخدم شوقي الفاظأ سهلة تجرى على ألسنة الناس مثل لفظة (**يشرب**) التي أوحت بحب الاستشهاد دفاعاً عن الأوطان، وأجاد توظيفها، فكانت دلالتها أكثر عمقاًوهكذا كان دأب شوقي، فعلى الرغم من إجادته لغة التراث فإنه أجاد أيضاً استعمال اللغة السهلة التي يتحدث بها عامة الناس وجمل بها شعره مفردات معجمه الشعري هذا دأبه في ديوانه يقول "شوقي" : **يفصلها إلى الدنيا بريد \*\*\* ويجملها إلى الآفاق برق،** **وللمستعمرين وإن ألانوا \*\*\* قلوب كالحجارة لا ترق**، **فمن خدع السياسة أن تغروا \*\*\* بألقاب الإمارة وهي رق** ومن هذه الألفاظ (**بريد - برق - المستعمرين - قذائف - السياسة** ...)

**ثانياً : البناء الأسلوبي :**

بني الشاعر قصيدته على جملة من الأساليب الخبرية والإنشائية، وخرجت الأساليب الإنشائية - معظمها – عن معانيها المعروفة مثل أساليب **النداء، والأمر، والاستفهام، والشرط** ... وجاءت أساليب القصيدة – جلها – خبرية، تناسب الأجواء الحزينة التي عرضها وأكد عليها شوقي. وأراد أن ينقلها إلى جمهوره العربي من المحيط إلى الخليج. ومن أمثلة الأساليب الخبرية قوله : (**دمع لا يكفكف**) (**ذكرى عن خواطرها لقلبي**) (**وبي مما رمتك به الليالي**) (**جراحات لها في القلب عمق**) (**وحولي فتية غر صباح**) (**لهم في الفضل غايات وسبق**) (**وضج من الشكيمة كل حر**) (**دم الثوار تعرفه فرنسا**)أمّا الأساليب الإنشائية بعلاقتها المتشابكة ، وقدرتها على التجدد والحركة وفاعليتها في استقطاب المتلقي ،وتشكيل البعد النفسي الذي يربطه بالمبدع ، والقضاء على الرتابة والنمطية، الذي قد تقع فيها الأساليب الخبرية وتعطينا لونا مميزا من التعبير الفني المؤثر في أفكارنا ومشاعرنا "قد استخدمها شوقي بشكل محدد، وجاءت قليلة، فمثلاً جاء أسلوب الاستفهام في ستة أبيات: و**الأمر** في أربعة، و**النداء** في ثلاثة أبيات، و**الدعاء** في موضعين، وغابت أساليب إنشائية أخرى عن القصيدة **الاستفهام** : ومن أمثلته في القصيدة قوله**: ألست دمشق للإسلام ظئرا \*\*\* ومرضعة الأبوة لا تعق**، وخرج أسلوب الاستفهام هنا عن أصل وضعه إلى التقرير الذي يريد به تأكيد فكرته، وهي أن دمشق كالأم الحانية على أبنائها، وهي كذلك للإسلام وأهله. وقوله في استفهام متتابع : **رباع الخلد ويحك ما ذهاها \*\*\* أحق أنها درست أحق ؟** **وهل غرف الجنان منضدات ؟ \*\*\* وهل لنعيمهن كأمس نسق**؟ فقد استخدم الاستفهام في البيت الأول **للتعجب**، فهو لم يصدق ما حدث لهذه المدينة العريقة من دمار وخراب ! وجاء الاستفهام في البيت الثاني مرتين بتكرار أداته (**هل**) ويحمل هذا الاستفهام اللوعة والأسى على مصير قصور بغداد، وما بها من بهاء وجمال، ثم أصابها ما أصابها، وهنا خرج الاستفهام عن موضعه الأصلي، وحمل دلالة النفي المشوب بالأسى والحزن، حيث نفى حالها الآن عن حالها

**ب**. وقد جاء ا**لاستفهام** - أيضاً - الذي يحمل دلالة النفي، حيث لا فرق بين قلوب المستعمرين والصخر في قوله: **سلي من راغ غيدك بعد وهن \*\*\* أبين فؤاده والصخر فرق** ؟

وأتى **الاستفهام** في موضع آخر للتعجب والسخرية من تناقض الفرنسيين مع مبادئ ثورتهم، تنكروا لها في سوريا: **وحررت الشعوب على قناها \*\*\* فكيف على قناها تسترق** ؟

ا**لأمر** : 11 وقد تأثر شوقي بالمتنبي وظهرت عنده نبرة الأنا عالية، حيث انتقل من الحديث عن النكبة، إلى الحديث عن نفسه مستخدما فعل الأمر (**فاعجب**) رواة قصائدي: **فاعجب لشعر \*\*\* بكل محلة يرويه خلق،** واستخدم **الأمر** في صدر البيت موجها حديثه للمدينة المنكوبة، طالباً منها أن تسأل من السبب في ترويع النساء ؟ فيقول : **سلي من راغ غيدك بعد وهن \*\*\* أبين فؤاده والصخر فرق،** وقوله ناصحاً ومحفزاً أبناء سوريا بترك الأماني والأحلام، ومواجهة المستعمر بالقوة، حيث إنه ما أخذ بالقوة لا يسترد بغيرها. وقوله \*\*\* **وألقوا عنكم الأحلام ألقوا، وقفتم بين موت أو حياة \*\*\* فإن رمثم نعيم الدهر فاشقوا** حيث خير شوقي أبناء سوريا بين الحياة الذليلة أو الإقبال على الموت من أجل الحياة بني سورية اطرحوا الأماني الكريمة، وجاء الأمر يحمل دلالة النصح والحث على المقاومة وبذل الدماء.

**النداء** : جاء النداء في القصيدة في مواضع قليلة، استخدم "شوقى" أدوات النداء المعروفة وحذفها في مواضع أخرى : **سلام من صبا بردى أرق \*\*\* ودمع لا يكفكف يا دمشق** وحذف الأداة، وجاء بالمنادي مباشرة، لتحمل دلالة القرب .

وقوله **الدعاء** : **ألست دمشق للإسلام ظئرا \*\*\* ومرضعة الأبوة لا تعق،** **بني سورية اطرحوا الأماني \*\*\* وألقوا عنكم الأحلام ألقوا،** جاء الدعاء في القصيدة قليلا، وقد استخدمه "شوقى" : : وفي الحالة الثانية يستخدم يدعو على الأنباء السيئة التي يصعب سماعها على كل محب لدمشق فيقول: **لحاها الله أنباء توالت \*\*\* على سمع الولي بما يشق**،

وقوله : ومن أساليب **الشرط** التي استعملها شوقي في القصيدة: **إذا زمن السلامة من طريق \*\*\* أنت من دونه للموت طرق،** **إذا عصف الحديد احمر أفق \*\*\* على جنباته واسود أفق،** **إذا ما جاءه طلاب حق \*\*\* يقول عصابة خرجوا وشقوا.**

وممّا سبق نجد "**شوقى**" قد عمد إلى الأساليب الإنشائية - القليلة – وهي عناصر مساندة لإيقاعية النص، ولكنه كان على وعي بتوظيفها؛ بما يملكه من ملكة الإبداع، والقدرة على التعامل مع المتغيرات الأسلوبية ووضعها في سياقاتها المختلفة، ولاشك أن هذه الأساليب تعطى زخماً للبنية التركيبية الكلية للنص.

**التصوير وأثره في بنية النص :**

جاء التصوير في النص نابعاً من عاطفة "شوقي" الحماسية، وملائماً للمحتوى الفكري، ومعبّراً عن الوضع الأليم لدمشق، والعاطفة عنصر مهم في إثراء قرائح الشعراء، وإمدادهم بالصور الفنية التي تعبّر عن صدق الإحساس " فالعاطفة دون صورة عمياء، وأن الصورة دون عاطفة فارغة، فالشعر تركيب بين الصورة والعاطفة"

وتخضع الصورة في الشعر لعبقرية المبدع حيث جاء التصوير في **نكبة دمشق** مشحونا بعاطفة حماسية، وبلغة حزينة تناسب الحدث "فالصورة رسم قوام الكلمات المشحونة بالإحساس والعاطفة"، وقد استخدم "شوقى" الخيال الجزئي التفسيري؛ لتكتمل الصورة الكلية للنص. ومن الخيال الجزئي :

**التشـــبيه**: من الصور الجزئية التي اعتمد عليها في تكوين صورة كلية للنكبة، مثل قوله في تشبيه سماء دمشق : بالكتاب الذي يجمع مآثر الماضي، وأرضها بالرق الذي يكتب عليه أمجاد تاريخها العريق **سماؤك من خلى الماضي كتاب \*\*\* وأرضك من خلى التاريخ رق،** وقوله في تشبيه دم الثوار من أبناء سوريا بالنور الذي يجب ظلمات العبودية والاستبداد. **دم الثوار تعرفة فرنسا \*\*\* وتعلم أنه نور وحق** ونراه في موضع آخر يشبهه بالمطر الذي يروى الأرض؛ فيروي غرس الحرية. **جرى في أرضها فيه حياة \*\*\* كمنهل السماء وفيه رزق** نتشبيه بالحجارة **سلي من راع غيدك بعد وهن... أبين فؤاده والصخر فرق ؟** المعنى نفسه في قوله : **وللمستعمرين - وإن ألانوا - \*\*\* قلوب كالحجارة لا ترق** ونجد شوقي يدافع عن الدروز، وينقسما لحق بهم من كلام كاذب، ونراه يشبههم في حمايتهم للديار، وما يتصفون به من أخلاق العرب، بالينبوع الصافي عند لينهم، وبالحجر الصلد وقت الزود عن الحمى. يقول **وما كان الدروز قبيل شر \*\*\* وإن أخذوا بما لم يستحقوا** ولكن **ذادة وقراة ضيف \*\*\* كينبوع الصفا خشنوا ورقوا** ومن التشبيه الضمني قوله : **وكم صيد بدا لك من ذليل \*\*\* كما مالث من المصلوب عنق** لقد شبه ضمنياً حاله الذليل الذي يتكلف الترفع والعزة، بالمصلوب الذي مال عنقه بعد إعدامه، فيبدو للرائي أنه متكبر ولكنه في حقيقة الأمر فقد الحياة.

**الاستعارة** : وليس في الشعر أعجب منها، وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها، ونزلت موضعها وجاءت الاستعارة في القصيدة في مواضع كثيرة منها قوله: **سلام من صبا بردي أرق \*\*\* ودمع لا يكفكف يا دمشق** حيث شبه دمشق إنساناً، يلقى عليه التحية، التي تفوق رقة النسيم وكذلك جعلها شخصاً ينادي عليه في قافية البيت ونراه في موضع آخر يصور القلب بإنسان يتلفت على دمشق، وقوله: **وذكرى عن خواطرها لقلبي \*\*\* إليك تلفت أبدا وخفق،** و**بي ممّا رمتك به الليالي \*\*\* جراحات لها في القلب عمق،** حيث شبّه هنا الليالي، وجعلها إنساناً قادراً على الرمي بسهام نافذة، وامتد بالصورة؛ ليبين أثر السهام (لها في القلب عمق) ومن الاستعارة تشبيه دمشق - في جمالها وبهائها – بفتاة جميلة فاتنة، مشرقة الوجه. يقول : **تخلفك والأصيل له إنتلاق \*\*\* ووجهك ضاحك القسمات طلق،** **إذا زمن السلامة من طريق \*\*\* أنت من دونه للموت طرق** حيث شبه الموت بإنسان يأتي من كل مكان؛ ليعصف بنساء دمشق. **ولا يبني الممالك كالضحايا \*\*\* ولا يدني الحقوق ولا يحق** حيث جعل الحقوق شيئا قريب المثال، إذا بذلت الدماء. ومن الاستعارة التصريحية قوله : **وضح من الشكيمة كل حر \*\*\* أبي من أمية فيه عتق** جاء في صدر البيت (وضج من الشكيمة كل حر) حيث شبه ما يكبح الأحرار من قيود الاستعمار بلجام الفرس الذي يكبح جماحه. ومنها أيضأ قوله : **برزن وفي نواحي الأيك ناز \*\*\* وخلف الأيك أفراح تزق**، شبه - هنا - أطفال سوريا الصغار أثناء القصف، بأفراخ الطير، وهي عاجزة في الحصول على طعامها. والصورة هنا عبرت عن هول الموقف وبشاعة المستعمر، وقسوة قلبه .

**الكناية :**  تمثّل لونا من ألوان الخيال، ويتجاذبها طرفان هما الحقيقة والمجاز، وكلاهما مطروح في السياق على حد سواء، ومن التعبيرات الكنائية التي لجأ إليها شوقي قوله : **غمزت إباءهم حتى تلظت \*\*\* أنوف الأسد واضطرم المدق**، وقوله : **(تلظت أنوف الأسد)** كناية عن الغضب الشديد : **سلام من صبا بردى أرق \*\*\* ودمع لا يكفكف يا دمشق،** (**دمع لا يكفكف**) كناية عن الحزن الشديد وقوله في موضع آخر : وفي أعطافهم خطباء شدق على لهواتهم شعراء لسن \*\*\* الشطر الأول : كناية عن نسبة، وهي نسبة الشعر إلى فتياتهم ، أما الشطر الثاني : فكناية عن نسبة الخطابة إليهم وقد عبر شوقي – بأسلوبه الكنائي – عن ملك بني أمية الواسع، الذي انطلق من دمشق عاصمة الخلافة الأموية إلى الأندلس في قوله : **له بالشام أعلام وغرس \*\*\* بشائره بأندلس تدق،** وعندما أراد أن يم القائد الفرنسي بحبه للقتل وإراقة الدماء عبر بلفظه (أخو حرب) نسب الحرب إليه بإضافتها : **رماك بطيشه ورمى فرنسا \*\*\* أخو حرب به صلف وحمق لفظة (فتوق) .**

وقوله : **وللحرية الحمراء باب \*\*\* بكل يد مضرجة يدق** حيث استخدم هنا (الحرية الحمراء) و(يد مضرجة) كنايتان عن الكفاح والنضال، وتظهر براعة الصورة بتوظيفه للون، كذا عنصر الحركة، الأمر الذي يظهر براعة "شوقى" التصويرية في رسم اللوحة الفنية.

**المجاز المرسل :** المجاز المرسل هو كلمة يتم استعمالها في غير معناها الأصلي لعلاقة غير المشابهة مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، ومن نماذج المجاز المرسل في "**نكبة دمشق**" قوله : **ومعذرة البراعة والقوافي \*\*\* جلال الرزء عن وصف يدق،** حيث عبر عن النثر والشعر بلفظي (البراعة – القوافي) فاستخدم الأولى وهي القلم مجاز عن النثر، وعلاقته الآلية، والأخرى (القوافي) مجاز عن الشعر، وعلاقته جزئية. وقوله في موضع آخر مستخدماً لفظة (يد) مجاز عن النعمة والفضل : **وللأوطان في دم كل خر \*\*\* يد ستلفت ودين مستحق** قراءة في موسيقى القصيدة : الموسيقى هي روح الشعر، فلا يسمى الكلام شعرا بدونها، وهذه الموسيقى تنبع من مفردات اللغة التي يجيد الشاعر توظيفها محققة النغم الشعرى. والموسيقى في الشعر إمّا خارجية تنشأ عن تكرار النغم فتألفه الأذن، وتأنس به النفس، وتتمثل في الوزن والقافية، وإما داخلية، تنبع من حسن اختيار الشاعر لألفاظه وإجادته توظيفها في سياقاتها وتمثل روح الشاعر وبراعته.

**الموسيقى الخارجية :**

كانت صياغة الشعر العربي منذ القديم في كلام، ذى توقيع موسيقي، ووحدة في النظم، تشد من أزر المعنى، وتجعله ينفذ إلى "قلوب سامعيه ومنشديه، وتوحي بما لا يستطيع القول أن يشرحه. أما عن "نكبة دمشق"، فقد اختار لها شوقي **بحر الوافر:** **مفاعلتن مفاعلتن فعولن مفاعلتن مفاعلتن فعولن** وعن علة تسميته يقول ابن رشيق "**لوفور أجزائه وتدأ بوتد**"،

**القافية :** للقافية أهمية كبيرة في شعرنا العربي، فهي شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يكون شعراً حتى يكون له وزن وقافية. "والقافية من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله، مع حركة الحرف الذي قبل الساكن. والقافية على هذا المذهب - الصحيح - تكون مرة بعض كلمة، ومرة كلمة، ومرة كلمتين". وهناك اختلافات كثيرة حول تعريف القافية، حتى أننا نجد من يجعلها آخر حرفين من آخر البيت، وهناك آراء كثيرة أما عن قافية القصيدة، فإن شوقي قد وفق في اختيارها، حيث جاءت جل أبياته - متمكنة في البيت. مثل قوله : **وحررت الشعوب على قناها \*\*\* فكيف على قناها تسترق**، فجاءت القافية (**تسترق**) يتطلبها معنى البيت، بعد ذكره (**خزرت**) . وقوله في موضع آخر : **وكم صيد بدا لك من ذليل \*\*\* كما مالث من المصلوب عنق** فجاءت كلمة (عنق) قافية للبيت؛ حيث إن المصلوب لا يميل إلا عنقه، **نصحت ونحن مختلفون دارا \*\*\* ولكن كلنا في الهم شرق،** **ويجمعنا إذا اختلفت بلاد \*\*\* بيان غير مختلف ونطق**، والحقيقة إن شوقي قد وفق في كثير من معانيه إلا أنه في بعض قوافيه، جاءت ألفاظه مجلوبة للقافية. مثل قوله : **له بالشام أعلام وغرس \*\*\* بشائرة بأندلس تدق،** فنجده في عجز البيت، استخدم المبتدأ (بشائره) ثم أتي بخبره - الجملة الفعلية – قافية للبيت، وقدم الجار والمجرور.

**الموسيقى الداخلية:** تختلف الموسيقى الداخلية عن الخارجية، في أنها لا تحكمها قوانين الوزن والقافية، وتخضع لموهبة الشاعر، وقدرته الفنية على الصياغة، واختيار كلمات المعجم الشعري، وتناغمها وتناسقها مع الموسيقى الخارجية؛ لتكتمل سيمفونيته "فالقدرات الفنية لدى الفنان أرحب من تحديدها برسوم محددة وتعقيدات"ـ ومن الموسيقى الداخلية في القصيدة :

1. **التصريع :** وهو لون من ألوان الصنعة الفنية التي يعمد إليها الشعراء في مطلع قصائدهم. ذكره القزويني في الإيضاح بقوله : هو جعل العروض مقفاه تقفية الدرب، مثل بيت شوقی: **سلام من صبا بردى أرق \*\*\* ودمع لا يكفكف يا دمشق.**
2. **الجناس** : هو ضرب من ضروب الصنعة اللفظية في لغتنا العربية، تكرار حروف بعينها، تظهر براعة المبدع في استخدام موسيقى وقد استخدم شوقي الجناس في شعره، وأجاده إلى حد بعيد. ومن الجناس الناقص في القصيدة كلمتي (**أوراق - ورق**) في عجز **وتحت جنانك الأنهار تجري \*\*\* وملء رباك أوراق وورق،** فقد جانس بين (**توالت - والولي**) وهو جناس ناقص. وأيضاً جاء الجناس الناقص في موضع آخر مثل : **نصحت ونحن مختلفون دارا** \*\*\* جاء الجناس ناقصاً بين كلمتي (لكن - كلنا) وقوله : **لحاها الله أنباء ثوالث \*\*\* على سمع الولي بما يشق** التكرار : وقوله : ولا **يبني الممالك كالضحايا \*\*\* ولا يدني الحقوق ولا يحق**، فقد جانس بين الفعلين (**يبني - يدني**)(**الحقوق - يحق**) .
3. **التكرار**: حيث يعمد الشاعر إلى تكرار حرف معين، أو كلمة معينة أو جملة والتكرار في القصيدة، جاء بتكرار حروف، وتكرار كلمات بعينها. فتكرار الحروف، نجده في تكرار حرف الزوى (القاف) في القصيدة كلها. مثل (**دمشق - يدق - خفق - عشق - طلق** ...) وقد استخدم شوقي "حروفاً بعينها بكثافة عالية ووزعها، توزيعاً منسجماً داخل القصيدة، مثل حرف الراء (**معذرة – البراعة - الرزء - الأنهار - تجرى - رباك - أوراق - ورق - رواة - يرويه** ...) وكذلك حرف القاف على سبيل المثال فضلاً عن استخدامه رويا للقافية مثل (**ائتلاف - القسمات - قيل - قناها – ورقاء - ورق - يسقى - دمشق - شرق** ...)وأيضاً تكرار حرف اللام بكثافة بلغت خمس مرات أحياناً في البيت الواحد مثل **تخلتك والأصيل له ائتلاق \*\*\* ووجهك ضاحك القسمات طلق،** **لحاها الله أنباء ثوالث \*\*\* على سمع الولي بما يشق،** **يفصلها إلى الدنيا بريد \*\*\* ويجملها إلى الآفاق برق**، **وقيل معالم التاريخ ذكت \*\*\* وقيل أصابها تلف وحرق**، ومن تكرار الكلمات ذات المعني الواحد قوله **بني سورية اطرحوا الأماني \*\*\* وألقوا عنكم الأحلام ألقوا** ومنها تكرار كلمة (أحق) الذي أكد بها شدة التحسر والألم **رباع الخلد ويحك ما دهاها \*\*\* أحق أنها درست وحررت الشعوب على قناها \*\*\* فكيف على قناها تسترق**.. ...... وقوله مؤكداً هول الموقف وبشاعة الدمار:. **إذا عصف الحديد احمر أفق \*\*\* على جنباته واسود أفق**

جاءت قراءة القصيدة من جوانب عدة، منها اللفظ الشعري، وكيف استخدمه "شوقي" وأجاد توظيفهقدرات لغوية تراثية، وكذا استعماله بعض الألفاظ العصرية الحديثة، وإبداعه في صياغتها، ودقته في اختيار ألفاظ بعينها، ووضعها في سياقاتها من النص. ثم تناولت الجانب الأسلوبي وكيف استعمل شوقي أساليبه ؟ وذكرت أن الأساليب معظمها خبرية، تناسب الحدث والأجواء الحماسية للقصيدة، وتعبر عن مشاعره القومية، تجاه دمشق وما أصابها على يد المستعمر. وجاءت أساليب الإنشاء من أمر ونداء، واستفهام ... بنسبة ضئيلة جداً في القصيدة، ذكرت بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصروتناولت القراءة التصويرية وأثرها في بناء النص، واستخدام "شوقي" الخيال الجزئي من تشبيه واستعارة وكناية ومجاز؛ لتكتمل الصورة الكلية لرؤيته الفنية في القصيدة، ثم ختمت القراءة بالحديث عن موسيقى القصيدة (الخارجية والداخلية) فجاءت الموسيقى الخارجية متمثلة في الوزن الشعري والقافية. وجاءت الموسيقى الداخلية معبرة عن عبقرية "شوقي" وقد اخترت نماذج لتعبر عنها - على سبيل المثال لا الحصر. ؛ لتكتمل بذلك معزوفته الفنية. ويجدر بي أن أقول : إنه من طبيعة القراءة أنها لا تنتصر لرأي على آخر، أو أن تفضل قراءة على أخرى، ولكن تظل القراءة تخضع لرؤى أصحابها، ومن طبيعة القراءة ونظريتها أن تسمح بالتعددية، وتنأى عن أحادية النظرة، بل كل قراءة تضيف - بلا شك - إلى العمل، ويظل العمل الفني معيناً لا ينضب، تنهل منه الأجيال على مر العصور.